

الحلقة الثمانون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

بدأنا قبل لقائين بالحديث عن الأمثال التي كتبها أجور ابن متقى مساً. وقد تأملنا في اللقاء السابق بمثل يتحدث عن نقاء كلمة الله، وأنها ترس للذين يحتمون بها. وتكلمنا عن طلبتين توجه بهما أجور إلى الله، وهي أن يبعد عنه الله الباطل والكذب. وأن لا يعطيه فقراً لئلا يسرق، ولا غنى لئلا يشبع ويكفر.

هل تراقب صديقي الآخرين وتحدث عن تقصيراتهم وسيئاتهم للمسؤولين عنهم؟ وهل تعلم ماذا تكون نتيجة تصرفك هذا؟ إن إغتياب الآخرين سيؤدي إلى نتائج مدمرة للشخص الذي تشكوه، وأيضاً إلى مواقف صعبة للمسؤول عنه. وهذا كله لا بد أن ينعكس عليك أنت شخصياً. كتب أجور هذا المثل فقال: "لا تشك عبداً إلى سيده لئلا يلعنك فتأثم." (أمثال ١٠:٣٠) أو بتعبير آخر: "لا تشك عبداً إلى سيده، لئلا يلعنك وتكون قد أثمت في حقّه." ونستطيع أن نبدل كلمة عبد بعامل أو موظف، لتلائم عصرنا الحاضر.

علينا إذن ألا نشكو موظفاً أو عاملاً إلى المسؤول عنه، إذ ربّما تكون الشكوى غير صحيحة، فترتد الشكوى علينا، ونصبح مخطئين تجاهه. وكما يقول المثل العربي: "لا تتدخل بما لا يعينك لئلا تسمع جواباً لا يرضيك." إن التدخل في شؤون الآخرين أمر معيب، ويوقع المرء في مشاكل هو في غنى عنها. فكيف إذا شكونا عاملاً أو موظفاً إلى المسؤول عنه، وتبين فيما بعد أن هذه الشكوى غير صحيحة؟ لننتبه إذن بأن لا نشكو أحداً أو نتدخل في شؤونه. ولنعلم أننا جميعاً ناقصون وبحاجة دائماً إلى تصحيح في مسيرتنا.

ثم تحدثت أجور بأمثال يحتوي كل منها على أربع حالات. فحكى عن أربعة أصناف من الناس، وأربعة أشياء لا تشبع، وأربعة أشياء عجيبة، وأربعة أمور لا تحتمل، وأربعة حيوانات صغيرة لكنها حكيمة. ثم تكلم عن أربعة أمور حسنة، ووجه نصيحة ختامية لتجنب الخصام.

تكلم أجور عن أربعة أجيال أي أربعة أصناف من الناس فكتب قائلاً: "جيل يلعن أباه ولا يبارك أمه. جيل طاهر في عيني نفسه وهو لم يغتسل من قدره. جيل ما أرفع عينيه وحواجه مرتفعة. جيل أسنانه سيوف وأضراسه سكاكين لأكل المساكين عن الأرض والفقراء من بين الناس." (أمثال ١١: ٣٠-١٤) يبدو واضحاً أن أجور انتقد هذه الأصناف الأربعة من الناس، وحذّرنا بالتالي أن نكون مثلهم أو نحذو حذوهم. فتحدث أولاً عن أولئك الذين يلعنون آبائهم ولا يباركون أمهاتهم. أي بدل أن يعترفوا بفضل والديهم عليهم ويباركوهم، يوجهون اللعنات إليهم. نأمل ألا تكون مستمعي من أمثال هؤلاء الناس؟

وتكلم أجور عن صنف ثان من الناس: "جيل طاهر في عيني نفسه وهو لم يغتسل من قدره." أي أولئك الناس الذين يظنون أنهم أبرار وطيهارون، ولم يرتكبوا أية خطيئة. لكنهم بالحقيقة خطاة لم يغتسلوا من أقدارهم أي آثامهم، إذ لم يطلبوا غفران الله ورحمته. وهؤلاء يشبهون الفريسيين الذين كانوا في أيام المخلص المسيح، الذين كانوا يعتقدون أنهم أبرار وليسوا بحاجة إلى التوبة، وهؤلاء من أصعب أنواع البشر. لأنك عندما تظن بنفسك أنك إنسان صالح ولم تفعل الشر، فمن المستحيل عليك أن تتواضع وتأتي إلى الله تائباً.

ولهذا قال لهم المسيح هذا المثل: "إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا واحد فريسي والآخر عشار. (أي من جباة الضرائب) أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا. اللهم أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار. أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ماأقتنيه. وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء. بل قرع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ. أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبرراً دون ذلك. لأن كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع." (بشارة لوقا ١٨: ١٠-١٤) إننا كلنا كبشر أناس خطاة ونفعل الشر ولا يوجد إنسان بار أو صالح. ومن المهم جداً أن نعترف بهذه الحقيقة وأنها بحاجة إلى غفران الله. فإذا أصرينا أننا أبرار فلن نجد رحمة الله. لكننا عندما نعترف بأننا خطاة، ننال غفران الله لذنوبنا. فمن أي نوع أنت مستمعي؟

وتكلم أجور عن صنف ثالث من الناس: "جيل ما أرفع عينيه وحواجه مرتفعة." إنه النوع المتكبر المتعجرف بنفسه. إن الكبرياء صفة سلبية تدمر الإنسان، وتجعله ينظر إلى نفسه بإعجاب وخيلاء، ويحتقر في نفس الوقت الناس الآخرين. وكما لاحظنا من كلام المخلص المسيح قبل قليل: "أن كل من يرفع نفسه يتضع" أي يمرره الله بظروف وأحداث تجعله يعرف حقيقة نفسه، وتجبره على التنازل أو التواضع. بينما الشخص الذي يتضع معترفاً بذنوبه وضعفاته، لا يهبه الله الغفران فحسب، بل يجعله إنساناً جديداً، أي يضعه في مكانة أفضل. نرجو مستمعي ألا تكون من هؤلاء المتكبرين، بل تتضع أمام الله.

ثم انتقل أجور للحديث عن الصنف الرابع والأخير من الناس فقال: "جيل أسناته سيوف وأضراره ساكين لأكل المساكين عن الأرض والفقراء من بين الناس." إنهم أولئك الناس الذين يستغلون الآخرين، ويأكلون حقوقهم. وهذه أيضاً صفة سلبية تؤدي المجتمع ككل، لأن المجتمع السليم يقوم على أساس العدالة والرحمة. فعندما يستغل بعض الأفراد إخوتهم في المجتمع، فإنهم يسببون الآلام لهم، ويقوضون الأسس الصحيحة للمجتمع.

ولقد نبهتنا كلمة الله الحيّة كما جاءت في الكتاب المقدس وفي آيات عديدة عن هذا الموضوع، وأكدت لنا أن الله عادل ويكره الظلم والظالمين. وقال النبي إشعياء: "هكذا قال الرب. احفظوا الحق وأجروا العدل." (إشعياء ٥٦: ١) من المهم جداً إذاً أن نعامل الآخرين بالعدل وأن لا نستغلهم. أما النبي ميخا فكتب قائلاً: "وماذا يطلبه منك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك." (ميخا ٦: ٨)

لكن هل بمقدور أي منا أن يسلك بالعدل ويصنع الحق وأن يحب الرحمة؟ لهذا علينا أن نأتي إلى الله تعالى متواضعين ومعترفين بذنوبنا، وعندها نصبح خليفة جديدة، ويغدو بإمكاننا أن نسلك بالعدل وأن نصنع الحق ونحب الرحمة. فهل تتواضع أمام الله مستمعي وتأتي إليه تائباً؟